كتاب التجليات

الشيخ الأكبر
محيى الدين بن العربى
(٥٦٠ هـ - ٦٣٨ هـ)

تحقيق وتقديم
أيمن حمدى

مؤسسة ابن العربي
للبحوث والنشر والتوزيع
عمارات النقابات - جامعة القاهرة
بين السرايات - شقة ٢٤

اسم الكتاب	كتاب التجليات
اسم المؤلف	محيى الدين بن العربى
التحقيق	أيمن حمدي
الغلاف	الفنان مجاهد العزب
الناشر	دار ابن العربي للبحوث والنشر والتوزيع
الطبعة الأولى	٢٠١١
رقم الإيداع	١٦٥٦٧ / ٢٠١١
الترقيم الدولي	978-977-5044-03-8

حقوق الطبع للمحقق

الإهداء

سبحان الذي بدا بما احتجب فعرفه العارفون
واحتجب بما بدا فذكره الذاكرون.
إلى أمي:
مجهولةٌ فى الأرض
وإلى روح أبي:
طوّافةٌ فى السماء.

أيمن حمدي

توطئة في برنامج العمل في الكتاب

الحمد لله

وبعد.. فإن القارئ العزيز قد رأى ملايين النسمات من أهل التسامح والمودَّة، يتوافدون على بيوت الله لزيارة أوليائه من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم، دينهم الحب، وإسلامهم أن يسلم الناس من أذاهم، أغلبهم من العامة والبسطاء. وربما تساءل البعض من أين استقوا مذهبهم، ومن الذي نبههم إلى عذوبة مشربهم، وها أنا ذا أضع بين يديك، أيها القارئ اللبيب، أثرًا من أهم أدبيات هذا الطريق، ألا وهو "كتاب التجليات" للشيخ الأكبر "محيي الدين بن العربي".

وكتاب التجليات منشورٌ ضمن "رسائل ابن العربي" المطبوعة بمطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن (الهند)، وكان في طبعته الأولى الصادرة سنة ١٣٦٧هـ/ ١٩٨٤م، فى مجلدين، وقد بلغت نسخ هذه الطبعة خمسمائة نسخة، غير أنه تم تصويره مراتٍ عدة في بيروت والقاهرة،

وربما في غيرهما، وبرغم ذلك فإنه لم يصل إلى قارئه كما ينبغي حتى نفدت طبعته الأخيرة في القاهرة خلال أيام من بدء تسويقها، تلك الطبعة التي تفضَّلت "الهيئة العامة لقصور الثقافة" بإصدارها ضمن سلسلة "الذخائر". نعم لم يصل إلى قارئه كما ينبغي لسببين رئيسيين، الأول أن "كتاب التجليات" الذي بين يديك الآن كان ضمن تسعٍ وعشرين رسالة في الطبعات المشار إليها، والسبب الآخر أنه لم يُنشر محققًا، فكان فيه من التصحيف والغلط المطبعي ما يعوق القراءة إلى حد لا يسعنا إهماله.

وأود أن أعترف في هذا المقام أنني لم أُعمِل المنهج العلمي الذي التزمه أساتذتنا من المحققين، ولا أدَّعي امتلاكي لقواعد منهجهم العلمي، وإنما عملي فيه كان محاولة قراءته كما ألفه صاحبه الشيخ الأكبر رضي الله عنه، وذلك على قدر ذوقي، لا أتعدى ذلك أبدًا، ولم يكن ذلك ليدفعني إلى حصر نُسخه المخطوطة في خزائن المخطوطات، في مصر والعالم، ووصفها. كما أنني لم أجنح إلى درس النص وتحليله، بل اكتفيت بوضع مقدمة بعد التعريف بالمؤلف قد تعين القارئ على الولوج إلى عالم التجليات إذا انضافت إلى كلامه رضي الله عنه عن مراتب العلم والذي أردفته بهذه

التوطئة، وقد اعتمدت أسلوبًا، ولا أقول منهجًا، تكامليًا في عملي، مع "التجليات"، حيث قُمت بنسخ الكتاب نسخةً خاصة هي الثالثة بين نسختين، إحداهما مخطوطة "معهد المخطوطات" التابع لجامعة الدول العربية، وهي محفوظة تحت رقم ١١٦ تصوف، وعنوانها "جامع التجليات"، والنسخة الأخرى هي مطبوعة حيدر آباد الدكن المشارُ إليها.

وقد وجدت مواضع للاختلاف بين النسختين ربما بلغت المائة والخمسين موضعًا، فوازنت بين كل موضعٍ ونظيره، وأثبتُّ في نسختي ما وجدته الأقرب إلى سياق النص، ولغة المؤلف. كما اجتهدت قدر الطاقة في عدم الإشارة إلى المواضع التي رأيت الخلل فيها علَّته عجلةُ الناسخ، أو خطأ الآلة في المطبوعة. بالإضافة إلى وضع الفواصل وعلامات الترقيم على صعوبة ذلك مع مثل هذا النص المنساب كجدولٍ عذبٍ.

كما ألحقت بالكتاب فهارسه التي تحصر ما ورد فيه من نصوص آيات الكتاب العزيز، يليها الأحاديث الشريفة، ثم الشعر، ثم الأعلام وقد ترجمتها بإيجاز.

ولمَّا كان لكل فن اصطلاحاته، ولم أذهب، كما أوضحت، إلى الدرس والتحليل، رأيت أن أُردف الفهارس بوضع أبرز الألفاظ الاصطلاحية الواردة في الكتاب مشروحةً في ثبتٍ

ربما احتاج إليه القارئ الكريم. فمن كان عنده حظٌ وافرٌ من المعرفة باصطلاح القوم فقد أدرك، ومن كان حظه من ذلك غير وافرٍ فلا بأس إن استدرك. لذا فقد عمدت إلى شروح أكابر أهل هذا الطريق ليكون الوصول إلى المعنى أتم. وكنت قد رجعت إلى بعض المصادر والمراجع أثناء القراءة فأثبتُّها علَّها تعين القارئ إن ودَّ معاودة القراءة، وبخاصةٍ أن النص الذي بين أيدينا من تلك النصوص التي يمكن أن نطلق عليها على سبيل التقريب كما قال أصحاب البلاغة "السهل الممتنع".

وربما تدفعني خصيصة "التجليات" إلى أن أتوجه إلى القارئ الكريم بطلب التماس العذر لي في اقتباس بعض السطور من "الفتوحات المكية" كانت توطئةً ومدخلاً لي إلى قراءة "التجليات"، حيث أوضح الشيخ الأكبر أن العلوم على ثلاث مراتب:

علم العقل:

وهو كلُّ علمٍ يحصل لك ضرورةً أو عقيب نظرٍ في دليل بشرط العثور على وجه ذلك الدليل. وشُبهه من جنسه في عالم الفكر الذي يجمع ويختص بهذا الفن من العلوم، ولهذا يقولون في النظر: منه صحيحٌ ومنه فاسدٌ.

علم الأحوال:

ولا سبيل إليه إلا بالذوق، فلا يقدر عاقل على أن يحـدَّه ولا يقيم على معرفته دليلاً، كالعلم بحلاوة العسل، ومـرارة الصبر، ولذة الجماع، والعشق، والوجد، والشوق، وما شاكل هذا النوع من العلوم، فهذه علوم من المحال أن يعلمها أحـدٌ إلا بأن يتصف بها ويذوقها. وشُبَهِها من جنسها فـي أهـل الذوق، كمن يغلب على محل طعمه المرة الصـفراء فيجـد العسل مرًا وليس كذلك، فإن الذي باشر محل الطعم إنما هو المرة الصفراء.

علم الأسرار:

وهو العلم الذي فوق طور العقل، وهو نفث روح القـدس في الروع، يختص به النبي والوليّ وهو نوعان: نوعٌ منـه يُدرك بالعقل كالعلم الأول من هذه الأقسام، لكن هذا العالمُ به لم يحصل له عن نظر ولكن مرتبة هذا العلم أعطـت هـذا. والنوع الآخر على ضربين: ضربٌ منه يلتحق بالعلم الثـاني لكن حاله أشرف، والضرب الآخر من علوم الأخبار، وهـي التي يدخلها الصدق والكذب إلا أن يكون المخبِر به قد ثبـت صدقه عند المخبَر وعصمته فيما يخبر به ويقوله، كإخبـار الأنبياء صلوات الله عليهم عن الله، وكإخبارهم بالجنة ومـا

فيها، فقوله إن ثمَّ جنة من علم الخبر، وقوله فى القيامة: إن فيها حوضًا أحلى من العسل من علم الأحوال وهو علم الذوق، وقوله: كان الله ولا شيء معه، ومثله من علوم العقل المدرَكة بالنظر، فهذا الصنف الثالث الذي هو علم الأسرار، العالم به يعلم العلوم كلها ويستغرقها، وليس صاحب تلك العلوم كذلك، فلا علم أشرف من هذا العلم المحيط الحاوي على جميع المعلومات وما بقى إلا أن يكون المخبر به صادقًا عند السامعين له معصومًا، هذا شرطه عند العامة.

وأما العاقل اللبيب الناصح نفسه فلا يرمي به ولكن يقول هذا جائزٌ عندي أن يكون صدقًا أو كذبًا، وكذلك ينبغي لكل عاقل إذا أتاه بهذه العلوم غير المعصوم، وإن كان صدقًا في نفس الأمر فيما أخبر به، ولكن كما لا يلزم هذا السامع له صدقه، لا يلزمه تكذيبه ولكن يتوقف، وإن صدّقه لم يضره لأنه أتى في خبره بما لا تحيله العقول بل بما تجوّزه أو تقف عنده، ولا يهد ركنًا من أركان الشريعة، ولا يُبطل أصلاً من أصولها.. ولا يحجبنك أيها الناظر في هذا الصنف من العلم النبوى الموروث منهم صلوات الله عليهم إذا وقفت على مسألة من مسائلهم قد ذكرها فيلسوف أو متكلم أو صاحب نظر في أي علم كان، فتقول في هذا القائل الذي هو الصوفي

المحقق إنه فيلسوف، لكون الفيلسوف ذكر تلك المسألة وقال بها واعتقدها، وإنه (أي الصوفي) نقلها منهم أو إنه لا دين له، فإن الفيلسوف قد قال بها ولا دين له، فلا تفعل يا أخي فهذا القول قول من لا تحصيل له، إذ الفيلسوف ليس كل علمه باطلاً، فعسى تكون تلك المسألة فيما عنده من الحق ولا سيما إن وجدنا الرسول عليه السلام قد قال بها، ولا سيما فيما وضعوه من الحِكَم والتبرِّي من الشهوات... "إنتهي" ما أردنا اقتباسه، وبان ما قصدنا إليه، فلنرجع إلى ما كنا بصدده من الكلام على برنامج الكتاب، وقد رأينا وضع فصلٍ بعد هذه التوطئة، فيه الكلام عن الشيخ الأكبر "محيي الدين بن العربي" مؤلف الكتاب، وشيوخه، وذكر أهم مؤلفاته، فربما وصل هذا الكتاب إلى قارئ لم يسعفه وقته للاطلاع على غير هذا الكتاب من كتب الشيخ، حينئذ تكتسب ترجمة المؤلف أهمية خاصة لهذا القارئ، وبذا نكون قد اخترنا برنامجًا بسيطًا لم نُثقل به على القارئ الكريم، وقدَّمنا إليه نصًا صحيحًا وأشرنا إلى ما اعتمدناه من النسخ في مطبوعتنا هذه، ولولا كفاية المصدرين لرجعنا لغيرهما، وليس ذلك بثقيل.

وأخيرًا فقد وجبت الإشارة إلى أن النسخة المخطوطة والمحفوظة في معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية برقم ١١٦ تصوف تتكون من سبعين ورقة متوسطة، مسطرتها خمسة عشر سطرًا ومنسوخة بخط "رقعة" مقروء، وإن كانت ثمة عيوب في النسخة الفلمية فقد تم تداركها بمساعدة المطبوعة، كما أن الناسخ كثيرًا ما استخدم علامة المد فوق الألف بدلاً من الهمزة في مثل "سماء" فكان يرقُمها هكذا "سمآ" ويبدلها ياءً في مثل "قائل" فيثبتها "قايل" ولم نُشر إلى مثل هذه التعديلات في الهامش لكثرتها وميلنا إلى إثبات ما تم الاتفاق عليه من قواعد الكتابة الحديثة، رغبةً في التيسير على القارئ المعاصر، آملين أن نكون قد قدمنا العمل بما يتناسب مع قدره في تراثنا الصوفي.

ترجمة الشيخ الأكبر ابن العربي

هو محمد بن علي بن أحمد "ابن العربي" الحاتمي الطائي الأندلسي، كُني بأبي بكر، وأبي عبد الله، ومحيي الدين، واشتهر بمحيي الدين بن العربي. وقيل اشتهر بابن العربي في المغرب، وبابن عربي بلا ألف ولام في المشرق للتمييز بينه وبين قاضي قضاة أشبيلية "أبي بكر محمد بن العربي المعفري" المتوفي سنة ٥٤٣هـ، إلا أنني أميل إلى تسميته بـ"ابن العربي" لما ورد عنه في كتبه، ولا شك أنه عَلَمُ التصوف بذكر الألف واللام وبغيرهما.

وكانت ولادته في ليلة الاثنين السابع عشر من شهر رمضان عام خمسمائة وستين "٥٦٠هـ" الموافق "٢٨ يوليو ١١٦٥م". ولد في "مُرسية" من أعمال الأندلس وهي تحت إمرة سلطان الموحدين "محمد بن مردنيش" الذي استقل بها على عهد "المستنجد بالله" الخليفة العباسي، وفي عام ٥٦٨هـ كان قد بلغ الثامنة من عمره فانتقل مع أسرته إلى "أشبيلية" وحفظ القرآن وأخذ الحديث والفقه، وكانت له خلوة في حداثته خرج منها بعلم، وتعجَّب منه "ابن رشد" لمَّا قابله في صباه، وقال "الحمد لله الذي أطلعني على هذا الصنف من عباده" أو ما هذا معناه، لأنه كان قد سمع عمن يأخذ العلوم

بالخلوة وسأل الله أن يُعرِّفه حقيقة ذلك الأمر، وكان ابن رشد صديقًا لوالد الشيخ الأكبر، فلما علم خبره ألحَّ في مقابلته.

وللشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي رضي الله عنه ترجمات في جُل كتب الطبقات والتأريخ، كالنجوم الزاهرة لابن تغربردي، وطبقات المفسرين للسيوطي، وكشف الظنون لحاجي خليفة، وقد ترجم له الحافظ ابن حجر العسقلاني في "لسان الميزان" فقال: "كان عارفًا بالسنن والآثار، قوي المشاركة في العلوم، أخذ الحديث عن جمعٍ، وكتب الإنشاء لبعض الملوك، ثم تزهّد وساح ودخل الحرمين والشام، وله في كل بلد دخلها مآثر". كما رُوي عن الحافظ الذهبي أنه لما سمع أن الشيخ الأكبر رضي الله عنه قال في الفصوص "ألَّفته بأمر الحضرة النبوية الشريفة" قال الحافظ الذهبي: "ما أظن أن المُحيي يتعمد الكذب أصلاً".

وقد أثنى عليه جماعة من العلماء الأفاضل منهم الشيخ "سعد الدين الحموي" فقال: "وجدته بحرًا زاخرًا لا ساحل له".

كما ألف الفيروز ابادي كتابه "الاغتباط" وجاء فيه:

إذا تغلغل فكرُ المرءِ في طرفٍ

من بحره غرقت فيه خواطره

وهذا من جملة ما قيل فيه.

أما علومه فلا تُحصى، وإنما نعمد إلى معرفتها بقراءة إجازته للملك المظفر "بهاء الدين غازي" ابن الملك العادل "أبي بكر بن أيوب"(*). حيث أبان فيها أنه أخذ عن الشيخ أبي بكر بن محمد بن خلف بن صافي اللخمي، فقرأ عليه "القرآن الكريم" بالقراءات السبع، كما أخذ الحديث وعلومه عن جماعة منهم نزيل مكة الشيخ "يونس بن يحيى بن أبي الحسن العباسي الهاشمي" قال ابن العربي: وسمّعت عليه كتبًا كثيرة في الحديث والرقائق. منها كتاب صحيح البخاري. حدثني به عن أبي الوقت، عن الداوودي، عن الحموي، عن العزيزي، عن البخاري. وقد ذكر في هذه الرسالة ستين عالمًا من القراء والمحدثين والمحققين. أما مؤلفاته فقد حصر منها بعضهم ما يزيد على الستمائة رسالة، وقد ذكر الشيخ الأكبر رضي الله عنه في الإجازة المذكورة مائتين وخمس وثمانين رسالة هي ما حضرته عند كتابة الإجازة عام ستمائة واثنين وثلاثين من هجرة سيد الخلق صلى الله عليه وسلم.

منها على سبيل المثال:

١- المصباح في الجمع بين الصحاح.

٢- كتاب الجمع والتفصيل في معرفة أسرار معاني التنزيل، فرغ منه أربعة وستون مجلدًا إلى قوله تعالى في سورة الكهف "وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح".

٣- كُنه ما لابد للمريد منه.

٤- مبايعة القطب.

٥- الميزان في حقيقة الإنسان.

٦- إنشاء الدوائر والجداول.

٧- التدبيرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية.

٨- فصوص الحِكَم.

٩- حلية الأبدال.

١٠- مواقع النجوم.

١١- التنزلات الموصلية.

١٢- عنقاء مُغرب في معرفة ختم الأولياء وشمس المغـــرب ونكتة سر الشفا في القرن اللاحق لقرن المصطفى.

١٣- العبادلة.

١٤- شجرة الكون.

١٥- رسالة روح القُدس في محاسبة النفس.

١٦- محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار.

١٧- النكاح المطلق.

١٨- عين الأعيان.

١٩- انخراق الجنود إلى الجلـــود وانغـــلاق الشـــهود إلـــى السجود(*).

٢٠- مفتاح السعادة في معرفة الدخول إلى الإرادة.
٢١- الفتوحات المكيَّة في معرفة الأسرار المالكية والملكية.
٢٢- التجليات وهو الكتاب الذي بين يديك، وغيرهم.

أما عن تلاميذه فمنهم:

١- صدر الدين القوني (ت:٦٧٣هـ).
٢- شهاب الدين عمر بن محمد السهروردي (ت: ٦٣٢هـ).
٣- أبو عبد الله زكريا بن محمود القاضي المعروف بالقزويني.
٤- سعد الدين محمد بن المؤيد الحموي.
٥- القاسم بن الحافظ بن عساكر.
٦- إسماعيل بن سودكين.
٧- عز الدين بن عبد السلام.

وقد توفيّ رحمه الله ليلة الجمعة ٢٨ ربيع الآخر سنة ٦٣٨هـ. الموافق ١٦ نوفمبر ١٢٤٠م. ودفن في سفح جبل قاسيون بدمشق.

الرموز المستخدمة

القوسان المنقوشتان ﴿ ﴾ لحصر الآيات القرآنية.

القوسان الكبيران ( ) لحصر الأحاديث القدسية والنبوية.

القوسان المعقوفتان [ ] لحصر الزائد من المطبوعة.

القوسان الصغيران المزدوجان " " لحصر المقولات الحوارية والأعلام.

م مخطوط المعهد(*).

ط مطبوعة حيدر آباد الدكن.